



تشكل مدينة البوكمال، في الجزء الجنوبي الشرقي من محافظة دير الزور شرقي سوريا، والواقعة قرب معبر القائم الحدودي مع العراق، نقطة تمركز استراتيجية للمليشيات الإيرانية وـ"حزب الله" الإيراني، وتعتبر عصب الإمداد الرئيسي لها. هذه المليشيات، التي سيطرت بالكامل على المدينة والمناطق المحيطة بها، بدأت أخيراً بعمليات تنقيب عن الآثار فيها، متسببة بخرابٍ كبير، وطمس معالم تاريخية تعود إلى آلاف السنين في المنطقة، إلى جانب إشرافها على عمليات تهريب ونقل لهذه الآثار إلى خارج سوريا. ومنذ نحو شهرين، بدأت المليشيات الإيرانية بعمليات تنقيب عن الآثار في منطقة البوكمال، طورتها ووسعتها لاحقاً مستخدمةً الجرافات وأليات مخصصة للحفر، وهي تستعين في ذلك بعمال محليين، تقوم على تشغيلهم وفق نظام الورديات بأجور زهيدة.

من العشوائية إلى التمرس في النهب

وفي التفاصيل حول هذه العمليات، أوضح الصحافي من دير الزور، زين العابدين العكيدى، في حديث لـ"العربي الجديد"، أن "قضية نهب الآثار وتهريبها من المنطقة قديمة، ومارسها النظام السوري حتى قبل العام 2011"، مضيفاً أنه "بعد انطلاق الثورة، بدأ عناصر ومجموعات من المدنيين لا ينتمون إلى أي فصيل مسلح بالقيام بعمليات تنقيب فردية، مستخدمين أساليب عشوائية". ولفت الصحافي السوري إلى أنه "بعد سيطرة تنظيم داعش على المنطقة، توسيع عمليات التنقيب والبحث عن الآثار، حيث أنشأ التنظيم جهازاً يسمى ديوان الركااز، لهذه المهمة فقط". ومن الواقع التي تم التنقيب فيها، وفق العكيدى، الرحبة في منطقة الميادين، ومدينة دورا أوروبوس في الصالحة، وأثار مملكة ماري قرب مدينة البوكمال، وأثار حلبية وزليبة شمالي غرب دير الزور قرب قرية التبني، وأيضاً موقع دور كاتليمو في قرية الشيخ حمد، وكذلك مواقع عديدة

وأضاف العكيدى أنه "في نهاية عام 2017، ومع سيطرة قوات النظام على أجزاء من محافظة دير الزور وخصوصاً مناطق الشامية، تطور ملف نهب وتهريب الآثار، لتبدأ منذ شهرين عمليات التنقيب بشكل علني". وحول ذلك، أوضح الصحافي أنه "في 18 مايو/أيار الماضي، بدأت عمليات الحفر بشكل مكثف من قبل مليشيا الحرس الثوري الإيراني وحزب الله"، مذكراً أن "مدينة البوكمال تخضع فعلياً اليوم لسيطرة المليشيات الإيرانية، أما قوات النظام فتنتشر في الفرقة 17 في البابية، والفرقة الرابعة في ريف البوكمال". وأكد العكيدى أن عمليات التنقيب حالياً تتركز على آثار مملكة ماري قرب منطقة السيال، وأثار دوراً أوروبيوس، ويجرى التنقيب على شكل وردتين (مناويتين)، الأولى تبدأ في الثامنة صباحاً وتنتهي عند الخامسة مساءً، أما الوردية (المناوية) الثانية فتبدأ في الساعة الخامسة مساءً وتنتهي في التاسعة ليلاً". وأشار الصحافي من دير الزور، في هذا الصدد، إلى أن عمليات التنقيب "تم بإشراف وحماية المليشيات الإيرانية، ويعمل اقتراب أي شخص من موقع التنقيب حتى لو كان عسكرياً، ويشرف على هذه العمليات قيادي في حزب الله من مدينة حمص، ملقب بأبو الصافي". وبحسب العكيدى، فإن قادة المليشيات يعتمدون في التنقيب على مدنيين يعيشون في المنطقة، وهؤلاء يقومون بذلك لسد الفقر وال الحاجة، وهم رجال كبار في السن وحتى أطفال، يجرون مقابل الوردية (المناوية) 3000 ليرة سورية (1.17 دولار)."

وكانت عمليات التنقيب، كما فسر العكيدى، تتم بداية بشكل يدوى، إلا أنها تطورت حيث تجري الاستعانة بالمتفجرات والجرافات، وغيرها من المعدات، ما أدى إلى تدمير مدن أثرية بشكل كامل، ومنها دوراً أوروبيوس التي تحولت إلى أنقاض، وكذلك آثار مملكة ماري، ومنها القصر الملكي وقصر "زمري لم". وفي هذا الإطار، أكدت مصادر خاصة تحدث لـ"العربي الجديد"، أن معالم مملكة ماري طُمست بشكل كامل بسبب عمليات الحفر والتنقيب، بعدما كان سبق أن تعرضت للتخرّب على يد "داعش"، مؤكدة أن الوضع آخذ في التفاقم اليوم.

ولفت العكيدى إلى أن مناطق التنقيب تخضع لحراسة مشددة من قبل عناصر المليشيات الإيرانية، كونها منطقة نفوذ لها. أما بالنسبة للآثار التي تنهب، فيجري نقلها عبر طائرة تابعة لشركة طيران سوريا، تقوم أيضاً على نقل عناصر المليشيات للتبديل كل 8 أيام. وبحسب علم العكيدى، فإنه غالباً ما يتم نقل الآثار المهرية إلى لبنان.

المليشيات الإيرانية مسيطرة

وتنتشر المليشيات الإيرانية في موقع استراتيجية في المنطقة. وحول هذه المناطق، قالت مصادر خاصة إن أهمها قاعدة حقل الورد النفطي في محيط البوكمال، والتي تعتبر تجمعاً لمليشيات عراقية وأخرى إيرانية، كما أن هناك مجمع المقار العسكرية في الجلاء، وهو مجموعة من النقاط والمقار العسكرية الإيرانية في منطقة الجلاء التي تقع بالقرب من المنطقة الأثرية دوراً أوروبيوس في محيط البوكمال.

كما تتركز المليشيات الإيرانية في قاعدة "تي 2" أو "الكم" في البابية المقابلة للبوكمال، وهي الأقرب للقواعد الأميركيّة، ويوجد أيضاً على مقرّبة منها جيب لتنظيم "داعش". ومن المواقع التي تسيطر عليها هذه المليشيات كذلك، قاعدة المطار العسكري، وهي قاعدة مشتركة بين الفئات المدعومة من إيران، وعلى رأسها "حزب الله"، وقوات من الجيش الروسي، حيث يستقر خبراء عسكريون روس في المطار بشكل دائم، بالإضافة إلى قواعد عسكرية الصاعقة والطلائع، وهي أكبر تجمع للمليشيات الإيرانية داخل مدينة دير الزور، وتقع بالقرب من مبني المحافظة وهي الجورة، وهي في المجمل معسكرات تدريب وتجميع لمقاتلي المليشيات ومنتطلق باتجاه المنطقة الوسطى.

ومن أهم القواعد العسكرية التي تتركز فيها المليشيات الإيرانية قاعدة عين علي، وتقع في بادية مدينة القورية في الريف

الشرقي، وقد أنشأت مليشيا "فاطميون" فيها مزاراً دينياً. وإلى جانب أهمية هذه النقطة عسكرياً، فإنها أيضاً تعد مركزاً لجتماع الحاج القادمين من إيران والعراق باتجاه سوريا. أما ما تبقى من مقار عسكرية وأمنية في المدن الرئيسية، فتتوزع بين حواجز تفتيش تتركز في الميادين والعشارات، وأحياء العمال والموظفين داخل دير الزور، إضافة إلى وجود إيراني داخل الأفرع الأمنية التابعة للنظام في أحياء الجورة والقصور والرواد داخل المدينة.

وفي الثاني من يونيو/حزيران الماضي، أصدرت جمعية حماية الآثار السورية تقريراً رصداً فيه حجم الأضرار التي لحقت بالموقع الأثري والمتحف في سوريا، مبينة أنه يوجد نحو 55 مؤسسة ثقافية (في سوريا) تعنى بحفظ الإرث الثقافي السوري، من بينها 49 متحفاً، ومستودع ضخم لحفظ اللقى الأثرية، و5 دور عبادة تحوي لقى أثرية وتاريخية. وجاء في التقرير أن 29 من أصل هذه المؤسسات، لحقت بها أضرار بسبب العمليات العسكرية، منها متحف تدمر ومغارة النعمان والرقعة، والتي تعرضت لضرر جسيم، بينما تعرضت متحف درعا ودير الزور لأضرار طفيفة، وذلك منذ العام 2011 وحتى اليوم.

وبحسب التقرير، فإنه منذ عام 2011، تم سرقة 40635 لقى أثرية وتاريخية وتراثية من المواقع المذكورة، وهذا الرقم يستند إلى التقارير والمعلومات الموثقة لدى الجمعية. ولفت التقرير إلى أنه من ضمن 29 مؤسسة التي تعرضت للنهب، لم تؤخذ بعين الاعتبار لدى الوصول إلى هذا الرقم، 10 متحف ودور عبادة تعرضت للنهب، بسبب عدم معرفة عدد القطع المنهوبة منها. كما أن الرقم من اللقى المنهوبة لا يشمل آلاف القطع غير المسجلة في قوائم ودفاتر 19 متحفاً تعرضت لعمليات نهب وسرقة، ولا عشرات الآلاف من اللقى التي نهبت من الموقع الأثري السوري خلال عمليات الحفر العشوائي منذ عام 2011، مثل أقاميا، دورا أوروبيوس، تدمر، وإيبلا.

المصادر:

العربي الجديد